

الجوانب العمرانية في مدينة الانباط عند العرب قبل الاسلام

م. رواء عبد الستار علي

كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد

Yasa28_2008@yahoo.com

**Urban aspects in the city of Nabateans among
the Pre-Islamic Arabs**

Rawah Abdal-Sattar Ali

College of Islamic Sciences / University of Baghdad

نالت الجوانب المعمارية (الدينية والدنيوية) في مملكة الأنباط حيزا كبيرا وهاما في حياة العرب منذ العهد القديم، ونتيجة لذلك افتخر العرب (قبل الإسلام وما بعده) بهذه الأهمية ومن ثم توارثوا تلك الفنون في معابدهم ومسكنهم، فأصبحت تشكل لديهم بعد ذلك رمزا تاريخيا وقيمة ثقافية، لان اجدادنا الأنباط قد ساهموا بشكل كبير في تعزيز ذلك الفخر وكأنهم أرسلوا لنا في الوقت الحاضر منجزاتهم لحماية ثقافتنا الحالية التي نشعر بانها لا شيء امام ذلك الإرث الحضاري والثقافي العريق الذي يشكل قفزة ضخمة في فن العمارة على مستوى البشرية. ومن اجل معرفة الجوانب المعمارية (الدينية والدنيوية) لمملكة الأنباط قبل الإسلام، فقد تناولنا في بحثنا الحالي " أصل تلك الحضارة وتاريخ فنها العريق، فضلا عن اقسام فنونها المعمارية، واهم المؤشرات (الدينية والدنيوية) التي نتجت عنها من خلال معابدها ومسكنها وقصورها. الكلمات المفتاحية: الجوانب العمرانية؛ مملكة الأنباط؛ العرب قبل الإسلام.

Abstract

The architectural aspects (religious and mundane) in the Kingdom of the Nabateans have gained a large and important place in the life of the Arabs since the Old Testament, as a result, the Arabs (before and after Islam) took pride in this importance and then inherited these arts in their temples and dwellings, and then it became to them after that a historical symbol and cultural value, Because our ancestors, the Nabataeans, have greatly contributed to enhancing that pride, as if they sent us at the present time their achievements to protect our current culture, which we feel is nothing in front of that ancient civilizational and cultural heritage, which constitutes a huge leap in the art of architecture at the level of humanity. In order to know the architectural aspects (religious and mundane) of the Nabataean Kingdom Pre-Islamic Arabs, we have dealt with in our current research "the origin of that civilization and its ancient art history, as well as its architectural arts sections, and the most important indicators (religious and mundane) that resulted from it through its temples, dwellings and palaces.

Key Words: Urban Aspects; Kingdom of the Nabataeans; Pre-Islamic Arabs.

المقدمة

لقد تعددت المدن والقرى والمعابد والقصور التي قامت شعوب الأنباط بنحتها ك (أم الجمال والربيه ومعبد رام) وغيرها، وتعد مدينة البتراء أهم التحف المعمارية المحفورة بالصخور التي قام الأنباط بإنشائها. ولكن بالرغم براعة المنحوتات الأنباطية، الا انها كانت قليلة للغاية، ومع هذه القلة فان الأنباط قد أنتجوا عددا هائلا من المنحوتات، والتي اتخذت عدة أساليب فنية فيها لمسات تجريدية وتعبيرية وتكعيبية اضافة تشبه الفنون الحدائثة الحالية الى أساليب كلاسيكية وواقعية، وحفروا قبورهم في الصخر ايمانا منهم بفكرة الخلود ووضعوا بداخلها الذهب والمجوهرات الثمينة. ان مملكة الأنباط تعد من الحضارات الضخمة في اعمالها المعمارية، اذ دلت دراسات تاريخية وادبيات ومؤلفات عديدة والتي تناولت مهارة الايدي النبطية وبراعتها في الجوانب المعمارية (الدينية والدنيوية) كما برزت تلك المصادر الملامح الراقية لهذا الفن العظيم الذي امتازت به تلك المملكة مما جعلها تتفرد عن بقية الحضارات العربية الأخرى بفنونها القيمة.

نشأة واصل مدينة الأنباط:

أشار الباحث الأمريكي المتخصص في الدراسات الاثرية (ابراهيم نكيف، ١٩٨٦) بان شعب مدينة الأنباط كانوا عبارة عن جماعة من العرب القدماء قنطوا في منطقة شمال الجزيرة العربية وجنوب الشام؛ وانتموا الى عشيرة نبط بن إسماعيل، ولقد نسب إليهم الخط النبطي، واشتهرت مملكتهم باسم (مملكة الأنباط). اذ لقبتم مستوطناتهم التي دامت للمدة بين عام (١٠٠ إلى ٣٧ ق.م) باسم (نباطين) بعدها منطقة معزولة بين شبه الجزيرة العربية وسوريا؛ وامتدادا من منطقة الفرات وحتى البحر الأحمر (١). كان لمدينة الأنباط شبكة تجارية شبه متحركة بها قائمة على مجموعة من الواحات المتصلة ببعضها البعض، ولقد مارس شعبها الزراعة بشكل مكثف في مناطق معينة؛ فضلا عن تلك الطرق التي كانت تربط بين الواحات اذ لم يكن هناك حدود معينة إلى الصحراء (٢). وعدت الأنباط واحدا من بين عدة قبائل بدوية عاصرت الصحراء العربية، وتقلوا مع قطعانهم إلى أي مكان يمكنهم العثور فيه على المراعي والمياه والعيش بسلام. أصبح قبائل بدو الأنباط حينها على دراية بمنطقتهم مع مرور الفصول، وكما كافحوا من أجل البقاء على قيد الحياة خلال السنوات السيئة عندما تضائل هطول الأمطار الموسمية. وعلى الرغم من أن الأنباط كانوا في البداية جزءا لا يتجزأ من الثقافة الآرامية (٣). كما تشير بعض المصادر التاريخية بان تحديد الأصل الدقيق لقبيلة الأنباط من البدو العرب لا يزال غير مؤكدا. ولكن تناولت إحدى الفرضيات في تحديدها لها، بان موطنهم الأصلي يعود الى اليمن اليوم، أي في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية. ولقد سكن الأنباطيون بمنطقة كانت تعرف بمركز العربية

الصخرية بلاد الأنباط وسيناء وحاضرتها البتراء وقد سكنها الأنباط والقبائل الثمودية والصفوية، نسبة إلى طبيعتها الصخرية، وهي أرض صخرية (٤). ومع ذلك، فإن معابدهم ولغتهم ونصوصهم لا تتفق بأي شيء مع ما متواجد ومتفق أثريا في جنوب الجزيرة العربية. وتقول فرضية أخرى أيضا؛ أن قبائل الأنباط قد زحفوا من الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، مؤكدين أنهم أتوا من منطقة الحجاز، ولقد كان الراي أكثر قبولا لأنه وجد بعض الآثار والنقوش الزخرفية التي كانوا يتشاركون بها مع الآهات عدة لقبائل قديمة باسم (نبتيو) والذي يأخذ المصطلح (nbtw) هناك، وهو اسم يعود للجذور الرئيسية لاسم القبيلة لمدينة الأنباط، وكانت معروفة حينها لدى اللغات السامية المبكرة في منطقة الحجاز (٥). وقعت مدينة الأنباط تحت الحكم (تراجان) وضممتها إلى الإمبراطورية الرومانية، ونتيجة لذلك الاحتلال فقد رسخت الثقافة النبطية داخل الإمبراطورية وتميزت بصناعات السيراميك الناعم المزين والتي شاعت في أوساط الثقافة الإغريقية الرومانية واختفت فيما بعد. وعلى الرغم من أن الأنباط كانوا في البداية جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الآرامية، إلا أن العلماء المعاصرين يرفضون النظريات حول جنورهم الآرامية. بدلاً من ذلك، تحدد الأدلة التاريخية والدينية واللغوية أنهم قبيلة عربية شمالية (٦).

ماهية اصول الأنباط:

لقد حاول الباحثون والمختصون في مجال الدراسات التاريخية والآثرية البحث والتقصي لمرات عدة من اجل الوصول لمعرفة ماهية اصول الأنماط؛ لذلك فقد ظلت مدينة الأنباط بوصفها موضوعا من الموضوعات التي استمر حولها ظهور النقاشات والاجتهادات لدرجة مبالغة فيها من قبل هؤلاء الباحثين والمختصين من العرب والمسلمين بشكل عام، والغربيين بشكل خاص، اما باعتقادهم بأن حضارة الأنباط قد تكون حصيلة لنتاج لبعض القبائل القادمة من خارج الجزيرة العربية التي تمتاز بحضارة (بدوية - رعوية) او زراعية، او انهم يستبعدون ذلك لكون مدينة الأنباط لا يمكن ان تكون حضارتها قد اقتبست منها، وجاء هذا الاعتقاد بعدما كشفت دراسات عدة عن الآثار المعمارية في المدن النبطية عن ان حضارتها قد تميزت بالرفي عبر مجالات متنوعة، ولاسيما العمرانية منها والتي برزت بشكل خاص في مظاهر الأبنية المنحوتة في الصخر والقصور والفلل المبنية من الحجر المشتب وفي أنظمة الري المتقدمة التي تفصح عن عبقرية إبداعية هندسية باهظة العقل المنتج (٧). وجاء في كتاب (بخور الالهة) للمؤلف (خزعل الماجدي) بان أصل مصطلح (الأنباط) يأتي من المصطلح اللغوي وهو " الماء الذي ينبط من البئر، وأيضاً النبط هو ما يتجلب من الجبل كأنه عرق من عروق الصخر" (٨). وأيضاً جاء في كتاب (تاج العروس) للمؤلف (مرتضى الزبيدي) بمعنى أن "القبط" جبل ينزل بالبطائح في بلاد الرافدين (٩). ومع ذلك؛ فان المعلومات التاريخية حول المستوطن الأصلي للأنباط والفترة المحددة التي هاجروا خلالها من بلادهم ما زالوا غير معروفين لحد الان. لكن ذهب بعض الباحثين بالقول إلى أن أصل الأنباط قد يكون قد جاء من نبايوت الوارد في التوراة. ويقصد ب (نبايوت) نابت أبو الأنباط وهو بكر اسماعيل وفقاً لما ذكر في التوراة الذين أنشأوا حينذاك مملكة قوية في شمال غرب الجزيرة العربية، فيما ربط البعض الآخر الأنباط باسم تبيت الوارد في سجلات الملك الأشوري نجلت بلاسر (٧٢٥-٧٢٧ ق.م) التي تشير إلى الحروب التي كانت تقع بين قبائل متعددة من شمال شرقي الجزيرة العربية والقوات الأشورية. (١٠).

فنون دولة الأنباط:

اهتمت دولة الأنباط بفن العمارة بشكل كبير، وهذا ما اكده الإرث العمراني الزاخر والضخم الذي خلفه شعبهم، والذي ما يزال معالمه قائماً حتى وقتنا الحاضر بكل معاني الشموخ والصلابة، وهذا ما يعلمنا بان عمر الحضارة النبطية قد امتد على مدى قرون بعيدة، فلقد كان الفن المعماري النبطي ذو تباين (زخرفي وخطي وبنائي وحرفي)، وهذا ما أدى به بان يكون في تطور مستمر، اذ بلغ من البذخ الفني في نزوة حضارته (١١). فمن ناحية البناء المعماري، فقد جرت عملياته ضمن أطر محددة بتناغم وانسجام مع جمال الطبيعة والعوامل البيئية المتغيرة؛ فضلاً عن جودة نوعية المكان الذي أعنى بدوره حضارة الأنباط ومنحها هويتها الأثرية الحضارية مميزات عبرت من خلال ملامحها العظيمة عن باقي العصور السابقة واللاحقة (١٢). وبذلك فقد قُسمت فن العمارة في الحضارة النبطية إلى قسمين رئيسيين الأول يختص ب (فن العمارة الدنيوية)، أما الثاني فخص ب(فن العمارة الدينية)، لكن قبل التطرق لكلا الفنين، كان لازماً علينا التطرق ببعض الشيء الى ملامح الهندسة المعمارية النبطية من حيث الشكل والرسومات والمواد المستخدمة فيها وتصاميم البناء السائدة في مملكة الأنباط حينذاك.

ملامح الهندسة المعمارية لدى الأنباط

تعد العمارة النبطية فناً قائماً بحد ذاته، تنوع بين العمارة الدينية (المعابد والأضرحة) والعمارة الدنيوية (البيوت والأسواق والحمامات وصولاً للصالات الرياضية)، كما أثبتت مملكة الأنباط قدرتها على تطوير فنها الادائي المعماري من بين الحضارات المحيطة بها ومنحها

طابعاً نبطياً خالصاً، لتمتاز آثارها بخصوصية عميقة على الجانبين الروحاني والمادي. كما عكست اثارها المتبقية من المنحوتات النبطية عبقرية مهندسيها الأنباط بما قاموا به من اعمال ابداعية وفنون نحت وبناء معماري، اذ صبغ أجدادنا النبطيون فنهم المعماري بطابعهم الخاص (١٣). ويمكن تصنيف ملامح البناء الهندسي المعماري النبطي المبدع الى أربع أنواع، وهي على النحو الآتي:

١- فن استخدام النحت في البناء المعماري: استخدم الشعب النبطي فن النحت في الصخر ، وقد تميزوا بهذا الفن بطرق وأساليب مدروسة بدقة في تنفيذ أعمالهم ، اذ اكد (احسان عباس) في كتابه (تاريخ دولة الأنباط) "بان قبائل الانباط كانوا بعد اختيارهم للسطح الصخري المناسب ، يقومون بتحويل النبطي إلى لوح يُستطاع الرسم عليه وبعد إجراء الحسابات اللازمة للوح الصخري يتم البدء بتنفيذ أعمال النحت من أعلى السطح باستخدام السقالات، ومن المُعتقد أن النحاتين كانوا على مراتب ودرجات فبعضهم يقوم بتسوية السطح ؛ ثم يأتي الآخر للقيام بالحسابات والتسويات والآخر الذي يقوم بأعمال النحت والتي تتطلب مهارة عالية للتنفيذ ومن بعدها يأتي الفنانون الذين يختصون بنحت التماثيل والأشكال الفنية المعقدة" (١٤). كما دلت بعض النقوش على أسماء القائمين بأعمال البناء بـ "بنيا" والنحات بـ "فسلا". ويبدو أن مهنتي النحت والبناء كانتا من المهن ذات الاحترام العالي في مملكة الانباط، اذ وجد الأثريون نقش البناء فلان أو النحات فلان على العديد من شواهد القبور النبطية (١٥).

٢- فن استخدام الحجارة عند البناء المعماري: استثمرت مملكة الأنباط العديد من المواد المتوفرة في البيئة المحيطة، اذ أشار الباحث " جون ايرفينغ لولور " (John Irving Lawlor) في كتابه (الأنباط من منظور تاريخي) بان " الانباطيون قد وظفوا كل أنواع الحجارة المحيطة بحضارتهم، ففي صحراء أم الجمال وصلخد وأبنية جبال الشراة جرى استخدام الحجارة البازلتية السوداء لأغراض البناء المختلفة، كما اعتمدوا الحجارة الكلسية في خربة الذريح بالرغم من صعوبة التعامل معها نتيجة للينها، ومع ذلك ؛ فقد كان نمط البناء الملكي النبطي يتسم باعتماده على الخلط بين انواع مختلفة من الحجارة في البناء الواحد كقصر الربة الذي بُني إجمالاً بالحجر الكلسي والحجارة البازلتية التي جُلبت من شمال المنطقة بالقرب من وادي الموجب " (١٦) .

أما بالنسبة للحجارة المستخدمة في البناء، فكان يقع الاختيار على الحجارة الغشيمة "الصغيرة"؛ فضلا عن الحجارة المنقوشة والمهندسة بعدة أشكال، أما عن الملاط المكون من الشيد والجير فكان يتم تحضيره من اللتونات فضلا عن التربة المحلية. (١٧) كما ذكر ليمينغ جوزيفوس (Leeming Josephus, 1998) بان " الأنباط قد استخدموا الملاط بكثرة في أبنيتهم كمونة بين صفوف الحجارة الكبيرة لقدرتها على العزل الحراري وعزل الرطوبة والأمطار ، والدليل على ذلك ما نرى الان من فائدة واضحة للملاط في الفنون المعمارية الكثيرة والكبيرة ؛ كالأقواس التي تعتمد على ترصص الحجارة والتي جرت تغطيتها بالملاط الطيني العازل، كذلك يمكن ملاحظة الملاط المستخدم في قصارة الآبار والخزانات المائية كخزان الحميمة والمسكن النبطية في النقب والتي أكدت على صلابة ومثانة البناء ، اذ فضلت مسكونة حتى القرنين (٥-٦) الميلاديين، فضلا عن الصلبان التي عُثر عليها في الكرنب حيث نُقش أكثر من صليب على عضادات الأبواب وبعض الأسكفة". (١٨)

٣- فن استخدام الأخشاب عند البناء المعماري: واستعملت الأخشاب في أعمال التسقيف وصناعة الأبواب والشبابيك ويبرز ذلك جليا في (وادي موسى) نتيجة لتوفر العديد من الأشجار في المنطقة، وأيضا منطقة (جبال الشراة) التي كانت غنية بالأشجار الحرجية، كما عرف الأنباط استخداماً آخر للأخشاب في البناء من شأنه تعزيز صمود الجدران أمام الهزات الأرضية، وما دل على ذلك وجود الأخشاب في بقايا بعض الأبنية مثل (قصر البنت) في العاصمة النبطية بترا. (١٩) وبعد ان قدمت الباحثة عرضاً للمواد المستخدمة في فن العمارة النبطية، سوف تكمل الجوانب المبدعة لمملكة الانباط، من حيث الفنون الدنيوية او الدينية؛ وفيما يلي تفصيلاً كلا الفنين:

١- فنون العمارة الدنيوية: أكد الدكتور (اياذ المصري، ٢٠١٦) " بأن الأنباط قد وصلوا في فنونهم المعمارية الدنيوية الى مرحلة متقدمة جدا من التجريد وبسطوا المفردة البصرية الى أقصى حد ممكن، قبل أن ينتقلوا الى المدارس الكلاسيكية والواقعية في الفن متأثرين بالفنون اليونانية والرومانية والفارسية والآشورية والفرعونية، لكنهم أكسبوا تلك المنحوتات هوية عربية مميزة، أن الكثير من منحوتاتهم أنتت استكمالاً لأساليب العمونيين والمؤابيين والأدوميين في النحت والتشكيل". (٢٠) وهنا يضيف (زيدون المحيسن، ٢٠٠٩) بان " العمارة السكنية تعد من أهم أقسام العمارة الدنيوية لدى الحضارة النبطية لغناها الذي بدوره تميز بإبراز الهوية الحضارية للأردنيين الأنباط، اذ ترك لنا اجدادنا الانباطيون إرث عمراني والذي يشكل الان قفزة ضخمة في فن العمارة على مستوى البشرية. (٢١)

ويمكن ان نذكر بعض الملامح الفنية الدنيوية للعمارة النبطية، وعلى النحو الآتي:

١- **العمارة السكنية:** وتشمل القصور والمسكن الكبيرة ، التي اتصفت بأنها كانت فارهة جداً لتقي بمتطلبات فئة قليلة من القبائل النبطية، وهذه المساكن كانت مقتصرة على فئة رجال الدولة وكبار التجار، ولقد قسمت هذه المساكن لتحتوي على عدة حجر منها للجلوس والنوم فضلا عن غرف الخدمات كالمطابخ والحمامات التي تتكون من مرجان صغير وموضع للغسل أنشئ في صُلب الجدار وقریباً من مدخل الحمام وغرف التخزين، وزودت هذه القصور بنظام مائي متطور يتناسب وفخامة القصر، وتعد البتراء أحد أهم الأماكن التي تتواجد فيها هذه الفئة بكثرة، أما بالنسبة للمساكن الكبيرة أو ما يطلق عليها ب(الفيلات) فقد سادت في القرى والمدن الجنوبية في مملكة الانباط وتختلف عن فئة القصور الكبيرة بأنها قُسمت إلى ثلاثة أقسام هي (قسم الاستقبال ، قسم الخدمات وقسم العائلة)، ومن الجدير بالذكر أن هذه الفئة من المساكن كانت مزودة بآبار لتخزين مياه الأمطار. (٢٢)

ب- **البيوت التي نُحتت في الصخور:** وشكلت هذه البيوت هوية الانباط والعبرية التي كانوا يحملونها في النحت، وقد كانت (البتراء والسيق البارد) محطاً لهذا النوع من البيوت النبطية، ومن المعروف أن هذه البيوت قد نحتت بتناغم وانسجام مع طبيعة المغاور والكهوف والتي حولها الانباط بمهارة بنائهم إلى بيوت أشبه بما نسميها بخلايا النحل، ومن المؤكد أن يحصل هنالك اختلاف بين أحجام هذه البيوت بحسب حجم المغارة والتي شكلت ثؤاة المنازل النبطية، ومن الأمثلة على هذه البيوت المنحوتة (البيت المصبوغ في السيق البارد) قرب البيضاء، إذ يصعد إليه بمدرجات وسلالم قصيرة ، كما كان يتكون من غرفة واسعة أحيطت بغرف صغيرة واحدة منها بالعمق . وقد زينت هذه الغرف برسوم وزخارف نبطية، والمنزل الذي كان يقع مقابل مسرح البتراء تميز بمساحته وبمنعته وبجدرانه المكسوة والمصبوغة في بعض المرافق، وقد عثر تحت أرضيته على بعض الفخار النبطي، وكان ارتفاعه ثلاثة أمتار. (٢٣)

ج- **المساكن الريفية:** أو ما يطلق عليها بمساكن المزرعة، إذ كان المسكن الريفي عبارة عن مجمع سكني كبير يضم وحدات سكنية ومخازن واصطبلات وساحات متعددة، مثل (قصر الكرنب) في النقب كما عثر على هذا النوع من المساكن في منطقة (الحميمة) والذي كان مؤلفاً من ثلاث أو أربع غرف محاطا حول ساحة مكشوفة وقد زينت بزخارف بسيطة والتي عكست حالة المزارعين الاجتماعية والمادية. (٢٤)

د- **المساكن البسيطة:** شكلت هذه النوع من المساكن غالبية سكان الانباط، والتي سادت بكثرة في منطقة (الحميمة) واقتصرت على غرفتين أمامها ساحة مكشوفة.

هـ- **المساكن ذات الصفة العامة:** وهي مساكن مصممة بالأصل للأمور الخدمانية مثلا (خدمة كهنة وزوار المعابد)، وقد سادت هذه المساكن في (وادي رم والذريح). (٢٥)

٢- **فنون العمارة الدينية:** لقد تأثرت الفنون النبطية من خلال تأثرها بالفنون الرومانية من حيث الشكل والرسومات والدلالات، ولاسيما في معابدها التي سادت في مملكتها حينذاك، ولقد تعدتها لتصل إلى إيطاليا (معبد ذو الشرى)، وجاءت عملية التأثر أيضاً عندما نشاهد تعدد الآلهة عند الانباط نتيجة طبيعية للتمازج الحضاري بين الانباط والشعوب الأخرى، فعبدوا كبير الآلهة الذي أطلق عليه (ذو الشرى). وكان يعبد على شكل حجر أسود أو مسلة سوداء غير منحوتة له أربع زوايا. وكان طول الصنم (أربعة أقدام) والعرض (قدمين). وكان دم القرابين يرش عليه أو أمامه) وتميز الإله ذو الشرى في البتراء بوجوده بالقرب من المياه. إذ أن عادة التطهر معروفة في ذلك الوقت لدى الديانات السامية القديمة (٢٦) وتشير الدراسات التاريخية بان أول عمل تنقيي أثرى للمعابد لدولة الانباط قام بها المنقب (هورسفلد وكونوي) عام (١٩٢٩) لكن مع تطور التكنولوجيا الحديثة سادت التنقيبات اليوم لتشمل العدد الأكبر من مراكز الانباط قرب بلدة (قنوت)، كما كشفت عملية التنقيب بان لقبائل الانباط تقاليد دينية في دور العبادة، إذ تحدث الباحثين عن ولائمهم السخية واجتماعاتهم وآداب طعامهم وشربهم وبساطة زيهم (قميص وخف) وعن بيوتهم الحجرية ومدائنهم المستغنية عن الأسوار. (٢٧)

ويمكن ان نذكر بعض الملامح الفنية الدينية للعمارة النبطية، وعلى النحو الآتي: لقد قسم الباحثون المختصون بالمملكة النبطية المعابد إلى قسمين معابد شمالية وجنوبية، إذ تميزت المعابد الشمالية بان مساحاتها كانت مستطيلة مع وجود مقعد دائري منتصب بانتظام أمام المعبد والذي كان يشكل جزءا من تصميم المبنى، أما المعابد الجنوبية فقد تم تقسيمها إلى أجزاء عدة ، تمثل الجزء الأول (بمقدس) وفي كل جزء غرفة واسعة ومن ثم تأتي بعدها الأجزاء الثانوية، ويمكن ان نذكر بوجود بعض المعابد التي لها علاقة مباشرة مع الثراء لاسيما في الفترة الممتدة بين (القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي) والذي اتضح خلالها تزايداً في عدد المباني الدينية والآلهة الحامية. (٢٨) ومن المعابد المشهورة حينذاك، ما يلي:

١- **معبد بعل شمين:** يقع المعبد في منطقة (سبع) ويتميز بأنه أكبر المعابد في تاريخ المملكة النبطية. وقد تم تكريسه لعبادة الإله بعل شمين إله الخصوبة، كما تضمن شتى تفاصيل المعابد النبطية بجميع تقسيماتها، كما غطى المعبد الخارجي ما مساحته (١٩ * ٢٠) م، وعند الدخول من الممر الذي يلي المدخل عبر الرواق فيقودنا إلى المقام الداخلي والأبراج ذات المداخل الثلاثة، أما مساحة المقام الداخلي فقد قُدرت بـ (٨.٢٨ * ٧.٢٦) م، كما تشكلت وسط المعبد صومعة مفتوحة للسماء بأربعة أعمدة ذات قواعد حرة وقد كانت مكاناً عالياً للعبادة ومن المعتقد أنها مقبرة مركزية، بلغت المساحة المكشوفة بين المقام الداخلي والخارجي للمعبد (أربعة أمتار)، وتم العثور على عدد كبير من النقوش النبطية واليونانية في بقايا المعبد والتي بدورها ساعدت على تأريخ مراحل عديدة لهذا المركز الديني، وأكثر النقوش أهمية هو نص تكريس المعبد والذي تم تأريخه بين (٣٢/٣٣ أو ١/٢) قبل الميلاد، والذي باكتشافه ساعد على تحديد أجزاء متعددة من هذا المعبد كالمقامات الداخلية والخارجية . (٢٩)

ب- **معبد الأسود المجنحة:** يعد معبد الأسود المجنحة من أكبر المعابد النبطية كما يُعد بناءً فريداً زود الباحثين بآثار نادرة عن الأردنيين الأنباط وعباداتهم، يُطل المعبد على البوابة الرومانية الثلاثية المتصلة بالشارع، مطلاً على طريق الجسر فوق مجرى المياه في لحف جبل، كما تشير الأسود المجنحة التي يمكن أن تكون رمزا للإلهة العزى ومن المرجح أنه كان مكرسا لعبادة الإلهان العزى آلهة المرتفعات والإله (دوشرا إله الشمس والخمر) معاً، ومن المعتقد أن المعبد قد بُني حوالي (٢٧) ميلادي، وتكون المعبد من شرفة أمامية تتقدمها أعمدة بطول (٩,٥) م ويتم الدخول منها عبر البوابة العريضة إلى قاعة المعبد الرئيسية ذات الشكل المربع المحيط بالأعمدة التي بنيت في الجدران، وبداخلها صفتان من الأعمدة، ووجدت منصة المذبح بارتفاع (١.٣) م في أقصى القاعة، كما وُجد على جانبي منصة المذبح إلى الجهة الأمامية مدرجات ذات أبواب حديدية، إذ كان يجري الطواف حول المنصة التي كانت ترتفع عليها أنصاب الآلهة، وتقع خلف المنصة فسحة توضع عليها التقدّمات التي تقدم كهدايا ونذور للمعبد والتي وُجد فيها تماثيل للآلهة، وينكر أن قواعد الأعمدة تكونت من حلقة رخامية تحيط بالقاعدة الحجرية كما استخدم الرخام البني لأعمدة المنصة ، بينما استخدم الرخام الأبيض لباقي الأعمدة أما (التاجيات) الأعمدة المزخرفة فقد مُثلت على زوايا بعض منها أسود مجنحة ومن هذه الأسود جاءت تسمية المعبد ومن المرجح أن تكون هذه (التاجيات) لأعمدة المنصة. (٣٠)

ج- **معبد قصر بنت فرعون:** واطلق بهذا الاسم اختصاراً ب(قصر البنت) وهذا المعبد يقع على النهاية الغربية لوادي (موسى) تحت الجبل (الحبيس) على منصة ضخمة تبلغ مساحتها حوالي (٦٠ * ١٢٠) م ، وهذا المعبد قد يكون تم بنائه في (النصف الثاني من القرن الأول) قبل الميلاد وترتفع جدران هذا المعبد إلى ما يُقارب (٢٣ متراً)، كما تم بناء بوابة المعبد على شكل بوابة مقوسة، وقد كان مخطط المعبد متميزاً ومثيراً للاهتمام من حيث تقسيمه فقد انشا ضمن صنف صندوق في صندوق الذي اسست عليه الكثير من المعابد النبطية، فيما كانت طقوس العبادة في هذا المعبد من تضحية الحيوانات على المذبح الكبير في الساحة ، إذ يتم حرق البخور بوصوله للسقف وعند الانتهاء من هذه الطقوس كانت تُقام وليمة فاخرة، (٣١)

د- **معبد رم:** يعد معبد رم من أهم المراكز الدينية النبطية، ويعود تاريخ تشييده إلى القرن (الأول) قبل الميلاد، وقد تم بناؤه على ثلاث مراحل. ولقد تكون من بناية خارجية طولها حوالي (٣٥ * ٥٠) م ، كما ضم المعبد مقاماً داخلياً طوله حوالي (٤ * ٥) م، وكان بداخله صومعة مفتوحة باتجاه الشرق يضم في جدرانها الثلاثة على أعمدة متلاصقة ، فضلا عن غرف جانبية، وتم بناء المعبد ضمن ثلاثة أطوار، إذ ظهرت الأبراج المحتوية على درج ، كذلك على أجزاء أخرى في الطور الأول، وفي الطور الثاني كانت الصومعة محاطة بممر مشكلاً ساحة ذات أعمدة مفتوحة على الغرف الجانبية، كما تم اكتشاف درج أمامي عريض وتماثيل الآلهة التي وُقرت في هذا المعبد ومن المرجح أن تكون الآلهة هي اللات قرينة دوشرا كذلك الآلهة الأخرى ك (بعل شمين) وهو سيد السماوات والعزى سيدة الينابيع. ويتجلى وجوده في محله نتيجة موقع المعبد القريب من الينابيع كنبع عين الشلالة، فضلا عن توافر سلسلة المياه السطحية العذبة التي تقع بين الطبقة الصخرية والجسم الحجري الرملي لمرعى جبل رم. (٣٢)

الذاتمة:

لقد رغبت الباحثة في البحث الحالي من ابراز الفنون المعمارية لأحدى الممالك العربية العظيمة في شبه الجزيرة العربية ، وهي مملكة الانباط ، لما تميزت به من فنون إبداعية كان لها اثر بالغ على الدول العربية والإسلامية والغربية لحد الان ، كما ان الباحثة عندما سعت الى تقصي تلك الفنون (الدينوية والدينية) التي بهرت بها انامل ايدي شعوب الانباط ، لا تقصد من ذلك الذكر مجرد عبارات هامشية الذي

سوف يأخذ بعض الوقت ، ومن ثم يصيبه نوعا من الغبار ، هذا اذا لم ينسى ويصبح من خبر كان ، وانما الهدف من ذلك للمعرفة المهارات الفنية العربية الاصلية ولتوصيل تلك المعلومات الى الدول العربية والإسلامية والغربية ممن لا يزال ينكر الابداع العربي الأصيل من حيث القدرات الفنية بصورة عامة، والقدرات الفنية المعمارية بصورة خاصة.

لهذا يمكن ان نستنتج من المعلومات التي ذكرت في البحث بعض المؤشرات المهمة، ومنها:

١- ان شعب مدينة الأنباط كانوا عبارة عن جماعة من العرب القدماء قنطوا في منطقة شمال الجزيرة العربية وجنوب الشام؛ وانتوا الى عشيرة نبط بن إسماعيل.

٢- عدت الأنباط واحدا من بين عدة قبائل بدوية عاصرت الصحراء العربية، وتقلوا مع قطعانهم إلى أي مكان يمكنهم العثور فيه على المراعي والمياه والعيش بسلام.

٣- وقعت مدينة الأنباط تحت الحكم (تراجان) وضمتها إلى الإمبراطورية الرومانية، ونتيجة لذلك الاحتلال فقد رسخت الثقافة النبطية داخل الإمبراطورية وتميزت بصناعات السيراميك الناعم المزين والتي شاعت في أوساط الثقافة الإغريقية الرومانية.

٤- أصل مصطلح (الأنباط) يأتي من المصطلح اللغوي وهو " الماء الذي ينبط من البئر، وأيضا النبط هو ما يتجلب من الجبل كأنه عرق من عروق الصخر".

٥- لقد قُسمت فن العمارة في الحضارة النبطية إلى قسمين رئيسيين الأول يختص بـ (فن العمارة الدنيوية)، أما الثاني فخص بـ(فن العمارة الدينية)، لكن قيل التطرق لكلا الفنين

٦- تعد العمارة النبطية فناً قائماً بحد ذاته، تتوع بين العمارة الدينية (المعابد والأضرحة) والعمارة الدنيوية (البيوت والأسواق والحمامات وصولاً للصالات الرياضية)، كما أثبتت مملكة الأنباط قدرتها على تطوير فنها الادائي المعماري من بين الحضارات المحيطة بها.

٧- استخدم الشعب النبطي فن النحت في الصخر، وقد تميزوا بهذا الفن بطرق وأساليب مدروسة بدقة في تنفيذ أعمالهم.

٨- لقد وظف الأنباط كل أنواع الحجارة المحيطة بحضارتهم، ففي صحراء أم الجمال وصلخد وأبنية جبال الشراة جرى استخدام الحجارة البازلتية السوداء لأغراض البناء المختلفة، كما اعتمدوا الحجارة الكلسية في حربة الزريح بالرغم من صعوبة التعامل معها نتيجة لئنها.

٩- استعمل الأنباط الأخشاب في أعمال التسقيف وصناعة الأبواب والشبابيك ويبرز ذلك جليا في (وادي موسى) نتيجة لتوفر العديد من الأشجار في المنطقة.

١٠- ان من اهم الملامح الفن المعماري للعمارة الدنيوية النبطية هي (العمارة السكنية، البيوت التي نحتت في الصخور، المساكن الريفية، المساكن البسيطة، المساكن ذات الصفة العامة).

١١- ان من اهم الملامح الفن المعماري للعمارة الدينية النبطية هي (معبد بعل شمين، معبد الأسود المجنحة، معبد قصر بنت فرعون، معبد رام).

الهوامش:

1-Negev, Avraham (1986). Nabatean Archaeology Today. Hagop Kevorkian Series on Near Eastern Art and Civilization. New York: New York University Press, p. (139).

2-Catherwood, Christopher (2011): A Brief History of the Middle East, Little, (1 ed), Brown Book Group, p. (36).

3-Healey, John F (2001): "Images and Rituals." The Religion of the Nabataeans: A Conspectus. Boston: Brill, 169-175, p. (172).

٤- جان، ستار كي (١٩٩٦): الحضارة النبطية، مجلة حوليات دائرة الاثار العامة، المجلد (١٤)، العدد (٢)، دائرة الثقافة والاعلام، بغداد، العراق، ص (٤٨).

5-Schmid, Stephan G. (2001). "The Nabataeans: Travelers between Lifestyles". In MacDonald, Burton; Adams, Russell; Bienkowski, Piotr (eds.). The Archaeology of Jordan. Sheffield, England: Sheffield Academic Press. pp. 367-426, p. (369).

6-Krasnov, Boris R.; Mazor, Emanuel (2001): The Makhteshim Country: A Laboratory of Nature: Geological and Ecological Studies in the Desert Region of Israel. Sofia: Pensoft, p. (117).

٧- أبو حمام، عزام (٢٠٠٩): الأنباط: تاريخ وحضارة، الناشر: دار أسامة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، عمان، الأردن، ص (١٣).

٨- الماجدي، خزعل (٢٠٠٩): بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، الناشر: دار أزمنا للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ص (٨٥).

٩- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى (١٩٨٤): تاج العروس من جواهر القاموس، الناشر: دار الهدايا للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الكويت، ص (٦٣).

١٠- الماجدي، خزعل، انجيل بابل، مصدر سابق، ص (٨٧).

١١- عباس، إحسان (١٩٨٧): تاريخ دولة الأنباط، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ص (٦١).

١٢- أبو حمام، عزام، الأنباط تاريخ وحضارة، مصدر سابق، ص (١٨).

١٣- الماجدي، خزعل (٢٠١٢): الأنباط (التاريخ، الميثولوجيا، الفنون)، الناشر: دار النايا ودار المحاكاة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سوريا، دمشق، ص (١٦٤).

١٤- عباس، إحسان، تاريخ دولة الأنباط، مصدر سابق، ص (٥٦).

١٥- الدهام، سلطان (٢٠٠٩): مجموعة العملات النبطية في متحف كلية الآثار بجامعة الملك سعود: دراسة وصفية تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص (٥٣).

(16)-John Irving Lawlor (1974) the Nabataeans in Historical Perspective, Michigan: barker studies in biblical archaeology. Broché 1, janvier to 1672, p.103.

(١٧) - عباس، إحسان، تاريخ دولة الأنباط، مصدر سابق، ص (٥٨)

(18)-Leeming: "Josephus (1999): 'Jewish War' and Its Slavonic Version: A Synoptic Comparison." Ancient Judaism & Early Christianity, Brill, p. (73).

(١٩) - علي، جواد (٢٠٠١): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الناشر: دار الساقى للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزء الأول، بغداد، العراق، ص (٥٤).

(٢٠) - المصري، اياد (٢٠١٦): العمارة والمنحوتات النبطية.. ابداع خلاق فاق الفنون المعاصرة، جريدة الدستور، العدد (٣٣٩٠١)، القاهرة، مصر، ص (١١).

(٢١) - المحيسن، زيدون (٢٠٠٩): الحضارة النبطية، الناشر: وزارة الثقافة والاعلام الاردنية، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ص (٤٦).

(٢٢) - أبو حمام، عزام، الأنباط تاريخ وحضارة، مصدر سابق، ص (٢٢).

(23)-Graf, D. (1994): The Nabataean army and the Cohortes Ulpiae Petraeorum, In E. Dabrowa, The Roman and Byzantine army in the East. Krakow, p. (38).

(٢٤) - جان، ستار كي، الحضارة النبطية، مصدر سابق، ص (٥٤).

(٢٥) - عباس، إحسان، تاريخ دولة الأنباط، مصدر سابق، ص (٦٦)

(٢٦) - أبو حمام، عزام، الأنباط تاريخ وحضارة، مصدر سابق، ص (٢٤).

(٢٧) - الماجدي، خزعل، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، مصدر سابق، ص (٨٠).

(28)-Strugnell, J. (1959, December). The Nabataean goddess al-Kutba and her sanctuaries. Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 156, 29-36.

(29)-Hammond, P. (1973): The Nabataeans: Their history, culture and archaeology. Sweden: Paul Astroms Forlag, p. (40).

(30)-Negev, Avraham (1986). Nabatean Archaeology Today. Hagop Kevorkian Series on Near Eastern Art and Civilization. New York: New York University Press, p. (53).

(٣١) - غوانمة، يوسف (١٩٨٦): المساجد الإسلامية القديمة في منطقة عجلون، الناشر: مركز الدراسات الأردنية، الطبعة الأولى، اليرموك، عمان، ص (٧٦).

(٣٢) - الماجدي، خزعل، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، مصدر سابق، ص (٨٠).

قائمة المصادر:

- ❖ أبو حمام، عزام (٢٠٠٩): الأنباط: تاريخ وحضارة، الناشر: دار أسامة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، عمان، الأردن.
- ❖ جان، ستار كي (١٩٩٦): الحضارة النبطية، مجلة حوليات دائرة الآثار العامة، المجلد (١٤)، العدد (٢)، دائرة الثقافة والاعلام، بغداد، العراق.
- ❖ الدهام، سلطان (٢٠٠٩): مجموعة العملات النبطية في متحف كلية الآثار بجامعة الملك سعود: دراسة وصفية تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ❖ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى (١٩٨٤): تاج العروس من جواهر القاموس، الناشر: دار الهدايا للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الكويت.
- ❖ عباس، إحسان (١٩٨٧): تاريخ دولة الأنباط، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.
- ❖ علي، جواد (٢٠٠١): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الناشر: دار الساقى للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزء الأول، بغداد، العراق.
- ❖ غوانمة، يوسف (١٩٨٦): المساجد الإسلامية القديمة في منطقة عجلون، الناشر: مركز الدراسات الأردنية، الطبعة الأولى، اليرموك، عمان.
- ❖ الماجدي، خزعل (٢٠٠٩): بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، الناشر: دار أزمنا للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.
- ❖ الماجدي، خزعل (٢٠١٢): الأنباط (التاريخ، الميثولوجيا، الفنون)، الناشر: دار النايا ودار المحاكاة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سوريا، دمشق.
- ❖ المحيسن، زيدون (٢٠٠٩): الحضارة النبطية، الناشر: وزارة الثقافة والاعلام الاردنية، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.
- ❖ المصري، اياد (٢٠١٦): العمارة والمنحوتات النبطية.. ابداع خلاق فاق الفنون المعاصرة، جريدة الدستور، العدد (٣٣٩٠١)، القاهرة، مصر.

2-المصادر الاجنبية:

- ❖ (Hammond, P. (1973): The Nabataeans: Their history, culture and archaeology. Sweden: Paul Astroms Forlag
- ❖ Catherwood, Christopher (2011): A Brief History of the Middle East, Little, (1 ed), Brown Book Group.
- ❖ Graf, D. (1994): The Nabataean army and the Cohortes Ulpiae Petraeorum, In E. Dabrowa, The Roman and Byzantine army in the East. Krakow.
- ❖ Healey, John F (2001): "Images and Rituals." The Religion of the Nabataeans: A Conspectus. Boston: Brill, 169-175.
- ❖ John Irving Lawlor (1974) the Nabataeans in Historical Perspective, Michigan: barker studies in biblical archaeology. Broché 1, janvier to 1672.
- ❖ Krasnov, Boris R.; Mazor, Emanuel (2001): The Makhteshim Country: A Laboratory of Nature: Geological and Ecological Studies in the Desert Region of Israel. Sofia: Pensoft.
- ❖ Leeming: "Josephus) 1999): 'Jewish War' and Its Slavonic Version: A Synoptic Comparison." Ancient Judaism & Early Christianity, Brill.
- ❖ Negev, Avraham (1986). Nabatean Archaeology Today. Hagop Kevorkian Series on Near Eastern Art and Civilization. New York: New York University Press.
- ❖ Negev, Avraham (1986). Nabatean Archaeology Today. Hagop Kevorkian Series on Near Eastern Art and Civilization. New York: New York University Press.
- ❖ Schmid, Stephan G. (2001). "The Nabataeans: Travelers between Lifestyles". In MacDonald, Burton; Adams, Russell; Bienkowski, Piotr (eds.). The Archaeology of Jordan. Sheffield, England: Sheffield Academic Press. pp. 367-426.
- ❖ Strugnell, J. (1959, December). The Nabataean goddess al-Kutba and her sanctuaries. Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 156, 29-36.